فنون الشعر العربي في ظل خلافة صكتو الإسلامية (١٨٠٤م-١٩٠٣م)

إعداد الدكتور

أبُو سليمانو

أستـــاذ الأدب والنقــد المساعــد

المعهــد العالي لإعـــداد المعلمــين

جامعة مرْوَا جمهورية الكاميرون

فنون الشعر العربي في ظل خلافة صكتو الإسلامية(١٨٠٤م-١٩٠٣م)

أَبُّو سليمانُو
قسم الأدب والنقد، المعهد العالي لإعداد المعلمين، جامعة مرْوَا، جمهورية الكاميرون.
البريد الإلكتروني: abbo.lawana@gmail.com

الملخـــص:

يعتبر النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي بمثابة العصر الذهبي للإنتاج الأدبي في دولة صكُّتُو الإسلامية التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي عام ١٨٠٤م، فكانت اللغة العربية في هذا العصر، هي لغة الدولة ولغة الثقافة، فالشاعر في هذا العصر إما أن يكون شاعرا مطبوعا فيقرض الشعر على سجيته، ويراعي القيم الأخلاقية في بنات أفكاره؛ لأن الأدب بالنسبة له وسيلة لا غاية. وإما أن يكون شاعرا متكلفا، أغرته دراساته العلمية بتقليد النماذج الشعرية التي يلتقي بها خلال قراءته؛ لكي يكون ذلك دليلاً على براعته في الشعر وتمكنه فيه، والتحلي بالروح الإسلامية السمحاء.

فجاءت اتجاهات الشعر في هذا العصر تقليدية، فقد تعمق الشعراء في تقليد الشعر العربي الجاهلي في كثير من أوصافه، ابتداء من الأغراض إلى الأوزان والقوافي والأبحر، أو بالأحرى البنية الشعرية القديمة المعروفة بعمود الشعر، فجاءت غالبية شعرها على نظام الشعر التقليدي كما لا حظنا في جميع النماذج الظاهرة في هذا البحث.

وفي الصفحات التالية، سوف أحاول رصد أغراض الشعر العربي في هذا العصر، وقد جاء هذا البحث في: مقدمة، ومبحثين. أما المبحث الأول فعبارة عن دراسة تاريخية عن حياة مؤسس دولة صكتو الإسلامية بذكر شيء عن حياته بإيجاز، وأما المبحث الثاني: عرضت فيه نظرة عامة في أغراض الشعر العربي في هذا العصر.

هذا وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي عند دراسة النصوص، كما سلكت المنهج التاريخي، بما يمكنني أن أزعم أنني اعتمدت بشكل أو بآخر على المنهج التكاملي، حيث رأيته أوفى المناهج لحمل أعباء الدراسة في أقسامها المختلفة.

الكلمات الافتتاحية: العصر الفودي، فنون الشعر، دولة صُكُّتُو الإسلامية، أغراض الشعر العربي، بلاد الهوسا.

The Arts of Arabic Poetry in the Reign of Sokoto's Islamic Caliphate (1804- 1903 A.D.)

By: Abu Sulaymano
Department of Literature and Criticism
Higher Institute of Teacher Training
University of Maroua
Republic of Cameroon

Abstract

The first half of the nineteenth century A.D is considered the golden age of literary output in the Islamic State of Sokoto which was founded by Sheikh Uthman Bin Fodi in 1804 A.D. Arabic language in this era was the language of the state and culture. On the one hand, the poet of that era was a versifier who versifies poetry on his own considering the moral values while introducing his ideas since poetry is just a means not an end. On the other hand, the poet was pretentious as his scientific studies tempted him to imitate the poetic models he met along his reading so that such metamorphosis is considered an evidence of his skill and mastery of poetry as well as enjoying a tolerant Islamic spirit. Accordingly, the trends of poetry in that era were traditional since the poets rooted the tradition of pre-Islamic Arabic poetry reviving a great deal of its descriptions, starting from the purposes, the rhythm, rhymes and meter, or better say the ancient poetic structure known as the poetic column. Hence, a great deal of poetry in that era was similar to the traditional poetry as we would notice in all the models examined in this research. Along the pages of this research, the researcher tries to highlight the purposes of Arabic poetry in that era. The research consists of an introduction, two chapters and a conclusion. As for the first chapter, it is a historical study of the life of the founder of the Islamic State of Sokoto. It gives a succinct reference to his life whereas the chapter is a general overview of the objectives of Arabic poetry in that era. The research applies the descriptive-analytical approach of studying texts as well as the historical method to form, in a way or another, what may be seen as an integrated approach on which the whole study would rely.

Key words: The Fodian era, the arts of poetry, the Islamic State of Sokoto, the objectives of Arabic poetry, the Hausa country.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ظل السودان الغربي يعيش حالة فراغ سياسي منذ سقوط دولة السنغاي القوية سنة:١٥٩١م، وقد شكَّل هذا الفراغ هاجسًا مقلقًا للمصلحين السودانيين على الدوام، وكانت حركة الإصلاح والتجديد التي ازدهرت في القرن ١٨م على يد عدد من الرّواد من بينهم: الشيخ سيدي المختار الكُنتِي الكبير، والشيخ جبريل بن عمر الأغْدَسِي، والشيخ عثمان بن فودي، تطمح لإنهاء حالة الفراغ السياسي وانتشال السودان الغربي من حالة الانهيار الحضاري، ومع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، شهدت دويلات الهَوْسَا وأجزاء كبيرة من السودان الأوسط حركات ثورية إسلامية تجديدية تحت قيادة الشيخ عثمان بن فودي (توفي سنة ١٨١٧م).

لقد نجحت حركة الشيخ عثمان بن فودي، التجديدية نجاحًا عظيمًا في منطقة السودان الأوسط، ومن النتائج المباشرة، قيام دولة إسلامية على منطقة شاسعة مترامية الأطراف، تمتد من حدود نيجيريا الشمالية الغربية إلى حدودها الشمالية الشرقية، وتضم أجزاء من جمهورية الكاميرون وتشاد وتمتد جنوبًا حتى ولاية كُوَرَا وجزءا من جمهورية النيجر وبنين. لقد استمرت هذه الدولة لمدة مئة عام تقريبًا، أي من عام: (١٨٠٤م، إلى عام: ١٩٠٣م)، وجاءت نهاية هذه الدولة الإسلامية على أيدي المستعمرين الإنجليز الذين حكموا البلاد بالحديد والنار سنة: ١٩٠٣م.

وكانت الدولة التي أسسها الشيخ عثمان بن فُودِي، مختلفة تمام الاختلاف عن غيرها من الدول السابقة في بلاد هَوْسَا وبُرْنُو. فقد أسست من أول الأمر على أساس إسلامي خاضع لقوانين شرعية، ونظم دقيقة، لا بد من معرفتها قبل تطبيقها، ولا بد لهذه الحكومة أن تجد عددا من المثقفين الذين يمكنهم أن يقوموا بإدارة تلك الدواوين. وبما أن اللغة العربية هي لغة الثقافة، فلا بد أن تهتم بها الحكومة، وتثقف أبناءها بها، وقد قامت بذلك خير قيام.

ومن أبرز الشخصيات التي يشارُ إليها بالبنان في هذا الوادي، الشيخ عثمان بن فودي وله أكثر من سبعين كتابًا في مختلف العلوم العربية الإسلامية، والشيخ عبد الله بن فودي الملقب بنادرة الزمان وعلَّامة

السودان، فقد خلف وراءه ما ينيف على مائتي كتاب في الفنون العربية الإسلامية، والتصوف، ويليهما في الإنتاج السلطان محمد بلو، نجل الشيخ عثمان، الذي يعود إليه الفضل في البطولة، والكفاح، والإنتاج. وقد سجل زهاء أربعة عشر ومائة كتاب باللغات المختلفة، وإن كانت اللغة العربية قد حازت عددا كبيرا من مؤلفاته.

فكما أن الإنتاج الأدبي ـ شعره ونثره ـ يقوم على النضوج العلمي وتطبيقه حينا بعد آخر، وإن إفريقيا جنوب الصحراء تختلف تماما عن بلاد العرب في ماهيته وممارسته، إذ الإسلام وأحكامه هو الذي يمهد السبيل للأدب العربي في هذه المنطقة غالبا، وإنما يتعلم المسلمون اللغة العربية ليفهموا بها أصول دينهم أولا، أما تعلمهم العربية للإنتاج الأدبي ففي الدرجة الثانية، ولاشك أن الأصول هي التي تمد الفروع، والبيئة هي التي تخلق الأديب، فلا غرو إذن أن يتجه الأدب العربي الإفريقي إلى الاتجاه الديني، وأن يصطبغ بصبغة دينية من ناحية، ويتأثر بطريقة من الطرق الصوفية من ناحية أخرى.

والسبب في ذلك يرجع إلى أن اللغة العربية، هي اللغة الرسمية في البلاد آنذاك، وهي اللغة الثقافية الوحيدة التي كان العلماء جميعا، يستطيعون التفاهم بها على الرغم من اختلاف لغاتهم ولهجاتهم، وقد كانت اللغة الوحيدة التي دوّن بها جميع تقارير الإمبراطورية في القرن التاسع عشر، كما أن جميع الأحكام الشرعية حتى بعد سطو الاستعمار البريطاني، كانت تسجل بها في كثير من الإمارات الإسلامية.

ولم تقتصر جهودهم على شرح المشكلات والغوامض فحسب، ولكنهم أضافوا إلى الثقافة العربية ثروة قيمة في شتى الميادين. فإذا نظرنا إلى ما ساهموا به في ميدان الشريعة، وعلوم الدين، نجد أنهم لم يقتصروا على توضيح المسائل المشكلة فحسب، ولكنهم، ابتكروا أيضا طريقة تسهل على طلاب العلم حفظ هذه المسائل، وذلك بتحويل قالبها المنثور إلى المنظوم.

وهؤلاء العلماء هم الذين قاموا بدور الشعراء؛ لأنهم هم وحدهم الذين استطاعوا أن يجيدوا اللغة العربية، ويتذوقوا سحرها وبلاغتها، ويتخذوها أداة للتعبير عن مشاعرهم، وينظموا الشعر كما نظمه شعراء العربية وأدباؤها.

هذا وتنحصر مؤلفات علماء دولة صكتو في هذا العصر، على الاتجاهات الآتية: أصول الدين، والتصوف، والفقه، والتفسير، والنحو، والصرف، والتاريخ، والسياسة[١].

(١)- حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ١٠٣ -١٠٤.

المبحث الأول

التعريف بالشيخ عثمان بن فودي مؤسس دولة صكتو الإسلامية

سأقصر تعريفي بالشيخ عثمان بن فودي على: نسبه، ومولده، ووفاته، لما لها من علاقة وثيقة بموضوع هذا البحث.

أوَّلاً: نسبه: هو: عثمان بن محمد فُودُيِ[١] بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد الملقب بـ "غُورْطُ"[٢] بن جُبُّ[٣] بن محمد بن سَمْبُو[٤] بن أيوب بن ماسران[٥] بن بوبا[٦] بن بابا موسى الملقب بـ "جكولو"[٧].

---

(١)- كلمة "فودي" تعني الفقيه باللغة الفُلاَّنية، وقد ضبطها الشيخ عبد الله بن فودي (أخو عثمان) في فهرسته المسماة "إيداع النسوخ" فقال: "ولقبه فُودي (بفاء مضمومة ضمة إشمام، وبعد الواو دال مهملة مضمومة وبعدها ياء ممالة). وقد رأيت هذا الضبط موجوداً على عدد من عناوين كتب الشيخ عثمان المخطوطة على هذا النحو "فودي"، أي على نحو ما ترسم كلمات كثيرة في المصحف برواية ورش عن نافع مثل: الهدى ـــ الضحى ـــ الأولى ـــ أي بياء بها علامة الإمالة، وهي ألف فوقها ونقطة واحدة تحتها. وقد جرت العادة على كتابة الكلمة في المطبوعات الحديثة بياء مثناة عادية "فودي". ولذلك سار يقرأها الكثيرون بدال مكسورة عوض المضمومة تيسيراً للنطق. أما الذين كتبوا عن الشيخ عثمان وعائلته باللغات الأجنبية، فهم تارة يكتبون: فوديو (**Fudi**)، وتارة أخرى، (**Fodye**) فوديي، أما المتداول حاليًا على الألسنة في منطقة الهوسا وبلاد الفلان، فهو: "فُودْيُو".(راجع: تحفة وزراء صكتو ومساهمتهم في اللغة العربية،).

(٢)-تفيد الكلمة: "غُورْطُو" بضم الغين، وبعد ها واو المد، فالراء الساكنة، ثم الطاء المضمومة، وبعد ها واو المد، معنى: المعمر.

(٣)- تفيد الكلمة: "جُبُّ" بضم الجيم والباء المشددة المضمومة، معنى: جبريل، ويزاد فيها الواو مع تخفيف الباء "جُبُو".

(٤)-تفيد الكلمة: "سَمْبُو" بفتح السين وسكون الميم، وضم الباء، وبعد ها واو مدية، معنى: الوليد الثاني لوالديه، ويزاد فيها حرفان الألف المدية بعد الباء والواو المدية بعد الجيم، فيقال: "سَمْبَاجُو".

(٥)-أما الكلمة:" ماسران" بفتح الميم وبعده ألف المد، ثم السين المكسورة، فالراء المفتوحة، وبعدها ألف المد، فالنون المفتوحة فلم أقف على معناها.

(٦)-تفيد الكلمة:" 'بوبا" بضم الباء وبعدها واو ممدودة فالباء المفتوحة وبعدها ألف مدية،: أبي بكر.

(٧)-تفيد الكلمة:" جَكُولُّو" بفتح الجيم وضم الكاف، وبعدها واو المد، فاللام المشددة المضمومة، وبعدها الواو

أما أمه فهي: حوّاء بنت محمد بن عثمان بن حم بن عال بن جبُّ بن محمد سمبو بن أيوب بن ماسران بن بوبا بن موسى جكولو، ويلتقي مع أمه في جدّه السادس وجدها الرابع(١).

الملقب بالفقيه أمير المؤمنين، شيخ الإسلام، هو رجل اتسم بكل معاني الشهامة والشجاعة مع الدين والورع والتقوى، وقام بمحاربة الفساد العقدي والسلوكي والسياسي، وواجه عدداً من المشكلات التي يعيشها مجتمع بلاد هَوْسَا، ذلك المجاهد، واحد من أبطال إفريقيا العظام، الذين جاهدوا من أجل رفعة الدين الإسلامي ونشره في أرجاء القارة الإفريقية، وخاصة في منطقة غرب أفريقيا ووسطها، فكان لعمله عظيم الأثر في بناء دولة إسلامية على النهج الصحيح، ليس هذا فحسب، بل هو واحد من أولئك الأبطال الذي تصدى وبقوة لأعنف وأشرس الحملات الوحشية، التي شنها قادة الاستعمار- إسبانيا والبرتغال وفرنسا والإنجليز- لطمس الهوية الإفريقية، وتصوير الإنسان الإفريقي على أنه ذلك الوحش الهمجي الذي يأكل لحوم البشر، وأن التمدن والتحضر الذي حدث ويحدث للأفارقه يرجع بفضل الاستعمار الأوروبي لبلادهم، في حين أن القارة الأفريقية قد شهدت العديد من الممالك الإسلامية، التي قامت بإفريقيا وبالتحديد في السودان الأوسط، وحكمت شعوبها باسم الإسلام، وأقامت نظم حكمها على أسسه ومبادئه وتعاليمه، ومن بين هذه الممالك كانت مملكة صكتو الإسلامية التي قامت في القرن التاسع عشر الميلادي، وقد كان المجاهد والقائد الهمام عثمان بن فودي هو قائد هذه الخلافة(٢).

ثانِيًا: مولده ونشأته: ولد المجاهد عثمان بن فودي في بلدة "طقل" على أطراف إقليم "جوبير" شمال نيجيريا الحالي عام: ١١٦٨هـ- ١٧٥٤م، وقد نشأ بن فودي، في أسرة متدينة ومثقفة بثقافة علمية عالية، حيث أنّ ٨٥٪ من علمائه كانوا بين الآباء والأجداد والأعمام، وقد كان بينهم، منذ صغره، مشتغلا بالدعوة إلى الله، وكان والده معلم القرآن والحديث في قريته، وينتسب "الشيخ عثمان" إلى قبيلة

المدية، معنى: الشجاع المقدام الذي يتصف بالمروءة وغيرها من الصفات الكمالية.

(١)- راجع: تحفة وزراء صكتو ومساهمتهم في اللغة العربية، ص:٢٢-٢٥، وانظر: من نوابغ الشعر العربي النيجيري ص: ٢٧، وانظر: عرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ عثمان ومن اشتهر من أولاده، ص:٤٧.

(٢)-راجع: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص:٣٤٢، والثقافة العربية في نيجيريا، ص:٢٣٤.

الفُولَّانِي العريقة في الإسلام، وفي هذه البلدة الصغيرة، وفي هذا الجو الديني الطاهر، نشأ "عثمان" فدرس اللغة العربية وقرأ القرآن، وقد ساعده والده على تنمية ملكة التعمق في العلوم الدينية لما رأى فيه من حبه للدين وخدمته. فأصبح بفضل تعليم القرآن أحد المجاهدين الذين أدخلوا الدعوة الإسلامية إلى إفريقيا جنوب الصحراء، وأقاموا دولة عظيمة وكبيرة على منهج الإسلام.

ثَالِثًا: وفاته: توفي عام (١٢٣٢هـ)، الموافق (١٨١٧م)، بعد مرض استمر به سنة، وعمره (٦٣) سنة، وخلفه ابنه الشيخ الإمام محمد بَللو(١).

رَابِعًا: دعوته الإصلاحية:

إنّ دعوة الشيخ ابن فودي ليست تقليدا أو تأثرا بدعوة أحد، بل هي تنفيذ أمر الله تعالى في قوله: {وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُوْنَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَينْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ}، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"، وقد أشار ابن فودي بنفسه إلى ذلك فيما روى عنه الشيخ محمد بَللو بقوله: "وأخبرني أنه حين حصل له الجذب الإلهي، ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - إذ كان يواظب عليها من غير ملل ولا كلل ولا فترة - أمدّه الله بفيض الأنوار بواسطة الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله، وجدّه الرسول صلى الله عليه وسلم، فشاهد من عجائب الملكوت... وكساه الحق سبحانه وتعالى حلّة الدعوة إليه، وتوّجه تاج الهداية والإرشاد إليه، فنادى مناد الحضرة: (يا أيها الناس أجيبوا داعي الله) مرات، ليتأتى له الإرشاد والدعوة... فقام بما قلّده الحق سبحانه وتعالى به، وأهّله من الدعوة إليه والدلالة عليه، فجعل يدعو إلى الله ويدلّ عليه"(٢).

(١)- راجع: تحفة وزراء صكتو ومساهمتهم في اللغة العربية، ص:٢٢-٢٥، وانظر: من نوابغ الشعر العربي النيجيري ص: ٢٧، وانظر: عرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ عثمان ومن اشتهر من أولاده، ص:٤٧.

(٢)- راجع: تحفة وزراء صكتو ومساهمتهم في اللغة العربية، صـــ:٢٢-٢٥، وانظر: من نوابغ الشعر العربي النيجيري صـ: ٢٧، وانظر: عرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ عثمان ومن اشتهر من أولاده، صـ:٤٧.

المبحث الثاني

نظرة عامة في أغراض الشعر العربي في هذا العصر

الغَرَضُ الشِّعْرِي: هو الموضوع الذي يعبر عنه الشاعر في قصيدته أو مقطوعته، كأن يريد مدح شخص ما، أو رثاءه أو تهنئته. وقد يقصر الشاعر في قصيدته على غرض واحد، وقد يعود أغراضا مختلفة في القصيدة الواحدة.

والشعر في هذا العصر حافل بكل الأغراض الشعرية التي عرفها الشعر العربي في المشرق، ففيه المدح والوصف والرثاء، وفيه الفخر والزهد والتصوف. ولم تكن هذه الأغراض على درجة واحدة في الذيوع والانتشار، فقد كان لبعضها قيمة فنية كبيرة، ولبعضها الآخر قيمة اجتماعية وسياسية عالية، ولذلك حظيت بالشيوع والتردد على ألسنة الشعراء، وقلَّت أغراض أخرى ولم تلق عناية لدى الشعراء لفقد دواعيها الاجتماعية والسياسية. ومن أدباء العصر، الشيخ عثمان بن فودي، والشيخ عبد الله بن فودي، والشيخ محمد بللو، والشيخ محمد الأمين الكانمي، والسيدة نانا أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي وآخرون(١).

وأما خصائص الشعر العربي في خلافة صكتو الإسلامية وسماته، منها أنه يستوحي الطابع التقليدي للشعر العربي، ويستخدم مخزونـًا ثريـًا من التقانات الشعرية، وعدداً كبيراً من الأشكال الشعرية، وهو في غالبيته مصادرُ إلهامه واهتماماتِهِ الدينية، تسري النغمة الدينية في غالبية موضوعاته الرئيسة بالطريقة نفسها التي تسيطر فيها نغمة الحماس على شعر الجهاد والحرب، ويكاد يكون صدى لأقدم موروثات الشعر العربي أكثر مما هو صدى للشعر العربي المعاصر غير الأفريقي، وهو بعيدٌ عن التعقيد الفلسفي والفِكْر العميق، وقريبٌ من العفوية والبساطة، ويتجنَّب التصنُّع، ويتميَّز بالفصاحة، وأحيانـًا بالغرابة، على نقيض شعرهم التعليمي والوعظي الذي امتاز بلغةٍ شعبيةٍ يفهمها جمهورهم.

فالشعر العربي الذي كتبه أفارقة يعد شعراً غزيراً جيداً، جديراً بالعناية والاهتمام، جمعاً وتحقيقـًا، ونشراً ودراسةً، وقد تناولوا جميع أغراض الشعر العربي المعروفة، من مدح، وفخر، ورثاء، وغزل، ووصف،

(١)-راجع: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص١٣١.

إضافة إلى إنتاجاتهم في الأغراض الاجتماعية والوطنية والموضوعات التعليمية، إلا أنهم برعوا أيما براعة في الشعر الصوفي خاصة، والشعر الديني عامة، فجاءت قصائدهم في مدح النبي عليه الصلاة والسلام، والتشوق إلى زيارة الحرمين الشريفين، والوعظ والإرشاد، ولما كان الباعث إلى تعلم العربية هو الدين الإسلامي، كان لابد من أن ينبع أدبهم من منابع الدين، وأن يدور حول أغراض يبررها الدين، وسنكتفي بذكر بعض هذه الأغراض، وهي كالتالي:

أوَّلاً: الثناء على الله: هي شذرات من الأبيات يعرض فيها الشاعر صفات الله، ويذكر بوجه خاص واجباته ومستحيلاته. ويأتي هذا النوع من الغرض في افتتاحيات القصائد واختتاماتها، ولعل أحسن قصيدة في الثناء على الله هي النونية التي قالها الشيخ عبد القادر بن عثمان الذي كان من كبار العلماء المعاصرين يقول فيها(١):

حَـمْـدًا لِـربِّـي الـخَـالـقُ الـمَـنَّـانُ سُـبْـحَـانَـه وعَـلا عَـن الأَكْـوَانِ
إنَّ الـعَـوَالِـمَ حَـادِثَـاتٌ فَـانِـيَـا تٌ وَالإِلَـه مُـغَـايِـر الأزمَـانِ
حَـيٌّ قَـديـمٌ لـيْـسَ فـيـه بِـدَايَـةٌ يَـا صَـاحِـبـي كُـن آخِـذ الـبُـرْهَـانِ
بَـاقٍ وَلَـيْـسَ يَـنَـالُـهُ عَـدَمٌ وَلَا نَـقْـصٌ تَـعَـالـى الله عَـن ذِي الشَّـانِ

وقد احتفظ الشاعر بعرف العروض، حيث جعل الحرف الأخير حرفا واحدا من مطلع البيت إلى آخره، ويقول:

يَـا رَبِّ صَـلِّ عـلـى هَـادِ الـبَـرِيَّـاتِ وصـحْـبِـه الـغُـرّ أرْبَـابِ الـهـدَايَـات
مُـحَـمَّـد أحْـمـد الـمَشْـهُـورِ في الـقِـدَمِ وَحَـامِـد الله مَـحْـمُـودُ السَّـلِـيـقَـات(٢)

(١)- راجع: مصباح الدراسات الأدبية، ص٢٩ - ٣٠.

(٢)- راجع: العقود الجاهزة والوعود الناجزة، عبد القادر جنيد، ص: ٢٩٠.

ثانيًا: الوعظ والإرشاد: وهو توجيه الناس إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، وصرفهم عن غرور الدنيا وزخرفتها، وتذكيرهم بالموت وما بعده. وأكثروا من بحر الرجز مطية لهذا الغرض(١).

وليس هنالك من بين علماء نيجيريا، من ترك تراثا ضخما في الأدب في القرن التاسع عشر الميلادي مثل عبد الله بن فوديو(٢). والبلاد تفخر بمؤلفات هذا العبقري، لا لكثرتها، وقيمتها فحسب، ولكن لشمولها معظم العلوم من: تفسير، وفقه، وتصوف، وتاريخ، وحديث، ولغة، ونحو، وصرف، ومنطق، وعلم الكلام، وعروض، وأدب. ولم يكن في غرب أفريقيا أعلم منه في ذلك الزمن(٣).

ومن عيون شعره في الوعظ والإرشاد:

طَرِبْتُ فأشْجَانِي الطُّيُور الكَوَابِحِ ... وفرحني منها الغيوث الروائح
وخَوّفنِي أيْضًا ذِئَاب بوَارِح ... وَأمَّنَنِي مِنْهَا الظِّبَاءُ السَّوَانِحُ(٤)
لِقَول النبي لاتَزال جماعة ... على الحَق منا أو يجيء المَقَارِحُ(٥)
أَلا أبْلغَن عَنِّي لِحَيِّي رِسَالةً ... تَعِيهَا رجَالٌ أو نساء صَوَالِحُ
لِعَالِمهم أو طالب العلم رَائِمٍ ... لإظْهَار دين الله فيه يُنَاصِح
أقُولُ لَهُ قُمْ وَادْعُ للدِّينِ دَعْوَةً ... تُجِبْهَا عَوَامٌ أوْ خَوَاصٌ جَحَاجِحُ(٦)
ولاتَخْشَ فِي إظْهَارِ دِين مُحمد ... بِقَوْلَةِ قَالٍ تَأْتَسِيهِ كَنَاتِحُ (٧)
ولَيْسَ لِمَا تَبْنِي يَدُ الله هَادِم ... ولَيْس لأمْرِ الله إن جَاءَ ضَارِحُ

(١)-هو من كبار العلماء في عهد الشيخ عثمان بن فوديو.

(٢)-راجع: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص٣٤١.

(٣)-راجع: الثقافة العربية في نيجيريا، ص ٢٦٤.

(٤)- السوانح: جهة اليمنى والمراد: المظهرون للسنة.

(٥)- المقارح: أمر الله أو القيامة.

(٦)- جحاجح: السادات، أي سادة القوم

(٧)-تَأْتَسِيهِ: تحكيه. كَنَاتِحُ: الحماقة.

ومنكر هذا الدينِ قدْ خَفَّ وَزْنُهُ وَمُظْهِرُهُ مِيزَانُهُ اليَوْمَ رَاجِحُ
وأن إلَهَ العرْشِ قَدْ مَنَّ مِنَّةً عَلَيْنَا ومَن يَشْكُرْ فذَلك رَابِحُ

وكذلك هناك أشعار نُظمت بغرض التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك استنكار البرناوي الماهر على الشيخ بن فودي حضور النساء لوعظه بقوله:

أيَا ابن فُودِي قُم فأنذر أولي الجُهَلا لَعلّهم يفقهون الدِّينَ والدُّونَا
فَامْنَعْ زِيَارةَ نِسْوَانٍ لِوَعْظِك إذْ خَلْطُ الرِّجال بِنسْوانٍ كفَى شِينَا
أَتَفْعَل ما يُؤَدّي للمَعَايِبِ إذْ لَم يأمر الله عَيْبًا كَان يُؤْذِينَا

ويقول العلامة عبد الله بن فودي رداً على قصيدة العالم البرناوي الماهر:

يَا أيها ذَا الذِي قَد جَاءَ يُرْشِدُنَا سمعا لما قلت فاسْمَعْ أنتَ مَا قلنا
نصَحت جُهْدك لكن ليتَ تعذرنا وَقُلْتُ سُبحان هذا كان بُهْتَانا
إن الشَّياطين إن جاؤوا لمجلسنا هُمْ يَبثّون سُوءَ القوْل طُغْيَانا
لسْنا نخالط بالنسوان كَيف وذَا كُنّا نُحَذِّر لكن قلت سلمنا
إن كَان ذاك، ولكن لا أسلم أنْ يُتْركْن بالجهل هملاً كان إحسانا
إذِ ارْتِكَابُ أخفّ الضرِّ قد حَتَمَا يكفّر الجَهْل إن ذَا كَان عِصْيَانَا
هذي البلاد وجدنا قومها غرقوا في الجَهل نَمْنَعْهُم أن يَفْقَهُوا الدِّينَا
قَد قيل تحدُث للأقْوَامِ أقْضِية قَدْر مَا أحْدَثُوا خُذْ ذَاكَ مِيزَانَا
الحَمْدُ لله ذِي الإنْعَامِ هَادِينَا ثُمَّ الصلاةُ عَلى المُخْتَار هَادِينَا

تصوّر هذه الأبيات وغيرها من الأبيات السالف ذكرها البيئة الإفريقية التي نشأ فيها الأدب العربي الإفريقي، وهي تنعكس على البيئة الأدبية والشعرية والثقافية العربية في إفريقيا، هذه البيئة التي تمثّل المنبع والمصدر الثالث للشعر العربي الإفريقي بخاصة، والأدب العربي الإفريقي بعامة، بعد القرآن الكريم المصدر الأول والسنّة النبوية الشريفة المصدر الثاني[١].

(١) – راجع: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص:١٦٥.

ثالِثًا: الشعر التعليمي: من أغراض الشعر التي طرقها الشعراء في هذا العصر الشعر التعليمي، فقد نظموا فيه واستخدموه في نشر الثقافة العربية، ويمكن القول بأن أغلب العلماء المتفانين قد استخدموه في حلقات التدريس والوعظ، فلا تكاد تجد عالما متبحرا أو فقيها متعمقا، إلا وقد أخذ نصيبه في هذا المجال.

واستمر العلماء والفقهاء ومشايخ الطرق الصوفية يتسابقون في هذا المجال، ينتج كل منهم على حسب تخصصه العلمي، وميله الفني، وقلما يخرج ذلك عن دائرة الفقه والحديث والتوحيد والنحو والصرف.

ومن الأفذاذ الذين ألفوا في هذا المضمار الشيخ عبد الله بن فودي، وللشيخ عبد الله كتب تزيد على عشرين كتابا على طراز الشعر التعليمي ومن هذه الكتب، كتاب في النحو، سماه "البحر المحيط"، ويبلغ عدد أبياته أربعة آلاف وأربعمائة بيت، وكتاب آخر في علم التصريف سماه: "الحصن الرصين" وتبلغ عدد أبياته ألف بيت، وفي مستهل الكتاب الأخير جاء فيه:

الحمد لله الذي تعرفا ... إلى عباده بما تصرفا
وأنطق اللغات في البوادي ... البلغاء اللسن الهوادي
وعم بالروائح الأيادي ... مع الغوادي المجتدي والجادي
إذ أرسل الرسول للعباد ... يرشدهم مهايع الرشاد
محمد سيد كل ناد ... أفْصَح كل ناطق بالضاد
صلى عليه ذو الأيادي الهادي ... وآله وصحبه الزهاد
ما ناحت الحمائم الشوادي ... وصاح بالأنغام صوت الحادي[1]

ويقول في مطلع كتابه لمع البرق في علم النحو:

الحمد لله الذي خلق الخلق ... متّصفا بجامع وما فرق
ثم صلاته مع السلام حق ... لجامع فضلا بخلقه افترق
محمد وصحبه النجوم ... وتَابِعيهم ذَوِي الفَهُومِ
وبعد فالمَقصُود نُظُم فَاضل ... مُشْتَبِهِ الأبْوَاب والمَسَائِل

(١)- راجع: الحصن الرصين، صـ: ٣٤٠. مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، صـ: ٤٣٦

إلى أن قال:

سـمَّيت نظمي فيه "لمْعُ البَرْقِ" فيه لذي تشابه من فرق[١]

وفي علمي العروض والقوافي، له منظومة يحتوي على حوالي مائتين بيتا، يقول الناظم في مطلعه:

يقُول رَاجِي رحمة الله خَائِف ما جَناه عبد الله

أحمد من قد نزل الكتابا يُرشِدنا بسبب الأسبابا

إذ جعل الأرض لنا مهادا ألقى بِها جبَالها أوتادا

وأفضل الصلاة والسلام على نبِي جاء بالإسلام

ومَدَّ ظله الطَّويل الكاملا الوافِر البسيط فيه راملا

وهَازِجًا في وعظه وزَاجرا في حربه واجتث كفرًا ناجزًا[٢]

ويقول في مقدمة كتابه "منن المنّان لمن أراد شعب الإيمان":

الحَمْد لله القديم الفاطر كل البَرايا عالم الخواطر

فَاتِحَ عِلْمه لأوليائه أورثَهم بِه من أصفيائه

وبعْد فاعلم أنني أردت نظم الفَوائد التي وجدت

منثور للعالم السيوطي ربَّنا تيْسيره سيعطي

سمّيت نُظمي مَنَن المَنَّان لمَن أراد شعب الإيمان

فقلت: عائذا بذي الجلال من الرياء أو من الضلال

(١) – راجع: الثقافة العربية في نيجيريا ، ص:٢٧٧-٢٧٨

(٢) – راجع: فتح اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي ، ص :١-٢

رَابِعًا: شعر الجهاد: كان الجو السياسي والديني والاجتماعي، مملوءاً بالاضطرابات الشديدة في أوائل فترة مملكة سكتو. إذ كانت الحروب تدور رحاها في أنحاء المملكة، والممالك المجاورة لها. فكانت البيئة كلها شديدة الاضطراب، قليلة الاستقرار، فهيأت ميدانا فسيحا للشعراء.

والأهداف الرئيسة لهذا النوع من الشعر، تسجيل الانتصارات التي كان المسلمون يفوزون بها ضد أعدائهم، وتحريض جماعتهم للقيام بالدفاع عن أنفسهم، وعقيدتهم الإسلامية(١).

وفي هذا الغرض يقول الشيخ عبد الله بن فودي، أحد قواد الحرب وحامل الراية الإسلامية بكل حماسة يقول في إحدى انتصارات جماعته قائلا:

بَـدأت بســـم الله والشـــكـر يـتـبـع ... عـلـى قـمـع كـفـار عـلـيـنـا تـجـمـعـوا
ليسـتـأصـلـوا الإسـلام والمسـلمين من ... بـلادهـم والله في الـفضـل أوسـع
فَـقُـلـت وفـالـي مـثـل أمـر مـحـقـق ... لـدى سـيـنـفـى يـنـفـى بـالـذل يـرجـع
إلـى أن تـراءيْـنَـا وزاد اقـتـرابـنـا ... رمـوا فـرمـيـنـاهـم فـولـوا وأقشـعـوا
بنصـر الـذي نصـر النبي على العدى ... بـبـدر بـجـمـع مـلـمـلائـك يـجـمـع
فـقـتـلاكـم في جـنـة الـخـلـد دائـمـا ... وراجـعـكـم بـالـعـز والـمـال يـرجـع
فـقـد تـم وعـد الله في نصـر ديـنـه ... ولـم يـبـق إلا شـكـره والـتضـرع(٢)

ويقول أيضـًا:

فَـتُـورَبِّ أخـوال الـفـلانـيـيـن إخـوة ... لـعـرب فـمـن رُومَ بـن عِـيـصٍ تَـفَـرَّعـوا
وعُـقْـبـة جـدّ الـفُـلاَّنـيـيـن مـن عـربٍ ... ومن تُورَ كـانـت أمّـهـم بُـجّ منغُ عُـوَا(٣)

ثم انتقل يفيدنا فخرا عن نسب الفلانيين وأصلهم، فذكر أن تُورَبِّ بطن فلاني عظيم، ذو علاقة دمويّة بالعرب والرّوم، أما علاقته بالعرب فمن جهة الصحابي الجليل والفاتح العظيم لبلاد المغرب، عقبة بن

(١)- راجع: الثقافة العربية في نيجيريا، ص١١٦.

(٢)- راجع: الحصن الرصين، صـ: ٣٤٠. مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، صـ: ٤٣٦

(٣) – راجع: الحصن الرصين، صـ: ٢٣٥، وانظر: مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، صـ: ٣٤٥

نافع الفهري رضي الله عنه، وهو الجد الأعلى للفلاَّنيين، وأما علاقته بالروم: فمن جهة بَجّ منغُ التورْبيَّة التي تنتمي إلى الروم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام، والتي هي زوج عقبة بن نافع، والجدّة العليا للفلانيين.

ومن شعر الحماسة قول محمد بلو بن الشيخ عثمان بعد غزوة "كَنُو"، والذي كان يفخر فيه ببلاء جنده وشجاعتهم، وانتصارهم على أعداءهم ويقول:

سَـــائِـلُـوا عـنَّـا وعـنْ أعْـدَائِـنـا ... يَـومٌ دَارَ الـحَـرْبُ فِـي كَـنُـو الأَغَـرْ
قَـدْ تَـرَكْـنـاهُـم بـهَـا مِـثْـلُ الـهِـبَـا ... أوْ كَـأحْـطَـام الـهَـشِـيـم الـمُـحْـتَـظَـرْ
إذْ رَجَـعْـنَـا لـهـم وَقْـت الضُّـحَـى ... بِـجُـنُـودٍ كَـجَـرَادٍ مُـنـتَـشِـرْ
وَكَـأنَّ الـخَـيْـلَ فِي أرْجَـائِـهَـا ... حـدا تَـخْـطُـفُ أشْـلاَء الـبَـقَـرْ
فَـألْـقَـيْـنَـاهُـم وأوْغَـلْـنَـا بِـهِـمْ ... بِـرُمْـحٍ وَسِـهَـامٍ كَـالـمَـطَـرْ
فَسَـقَـيْـنَـاهُـم مـنَـايَـا فَـروو ... فَـهُـمْ مِـثْـل جُـذُوعٍ مُـنـقَـعِـرْ(١)

خَامسًا: شعر التصوف: ويقول الشاعر في التصوف:

رَاعِ التَّصَـوُّفَ وِفْقَ الشَّـرْعِ فِي نُسُـكٍ ... كَـالأخْـذِ بِـالأحْـوَطِ الأتْـقَى مِـن الـوَهْـمِ
والأحْـوَطُ الـكـفُّ عَـن مَـكْـرُوهَـةٍ وَكَـذَا ... عَـن فَـاسِـدٍ بَـاطِـلٍ أو فِـعْـل مَـا يَصِـمِ
فَـلـلـتَّصُـوفِ فِي تَـهْـذِيـبِ أنـفُـسِـنَـا ... تَـأْثِـيـرُهُ الـنَّـافِـعِ الأَجْـلَـى لَـدَى الـفَـهَـمِ
هُـو الـدَّوَاءُ لأَدْوَاءِ الـقُـلُـوبِ مَـتَـى ... رَانَـتْ عَـلَـيْـهَـا رُعُـونَـاتٌ مِـن السَّـخَـمِ(٢)

ومن ذلك قول الشاعر:

وَصَـلْـتُ إلى حقِّ الـحقيقة بـالـحق ... بَـعِـيـدٌ مَـقَـامِـي فِي حـقـيـقـة حـقّـه
بِـعـلْـمٍ وذوقٍ واكـتـشـاف مـحـقَّـقٍ ... تـعـلـمـت عـلـم الـجـمـع مـن قـبْـل فَـرْقِـه
وَمِـن بـعـد ذَا أبْـقَـيْـتـه لِشَـرِيـعَـتِـي ... فَـلَـولا لسـان الشـارعـيـن لـمْ أبْـقِـهِ

(١) – راجع: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ، ص١٠١.

(٢)– راجع: نفحة الوردة في منهج البردة، برهان مكلا، ص:٦٠-٦٤.

سَادسًا: المدح: المدح الذي نشأ في هذا العصر، إما المديح النبوي الذي يشيد بالإسلام، والرسول، ومن ذلك قول الشيخ عثمان بن فودي:

غُـودِرْتُ أَنْـهَـمِـلُ الـدُّمُـوعَ مُـوبِّـلا شَـــوْقًـا إلـى هَـذا الـنـبـيّ مـحـمـد
أقْســمْتُ بـالـرحـمـن مـا لـي مـفـصـل إلا حَـوى حُـبّ الـنـبـيّ مـحـمـد
إن قـيـل لـي مـاذا يَشُـــوقُـك فى الـوَرَى فَـأقُـول إنـى عَـاشِـــقٌ لـمـحـمـد
مـن عـرش رب الـعـالـمـيـن جـنـوده مَـا فِي الـوَرَى مـثْـل الـنـبـيّ مـحـمـد
لـو سِـــرْتُ طَـيْـبَـةَ نـلـت غـايـة مـطـلـبي مُـتَـعـفِّـرًا فِي تُـرب نَـعْـلِ مـحـمـد
أو طـار قَـلـبِـي أن أزور دِيَـاره دمْـعـي يـفـيـض لـفـقـد هـذا الســيـد
تـهـمـي دمـوعـي إن ذكـرت فـنـاءه قَـدْ ذَابَـنـي حُـبّ الـنـبـي مـحـمـد[1]

وإما المدح الفني الوجداني كمدح العلماء، والشيوخ، والتبرك بهم، ويصف المادح ممدوحه في الغالب بصفات كان الناس يستحسنونها إذ ذاك: مثل الكرم، والشجاعة، كما يصفه بالعلم وخدمته، وبالتدريس، والتأليف، والتقوى، والتمسك بالدين وغير ذلك من الفضائل[2].

يقول عبد الله بن فودي في مدح شيخه جبريل:

عُـجْ نَـحْـو أَضْـــوَاجِ الأحـبَّـة مِـن مَـج واشـــرب من الأنشَـــاج مـاء الزِّعْـبِـجِ[3]
ثُـجْ الـدّمُـوع عَـلـى مـنَـازلـهـم بـهـا وأسْـــقِ الـجـنَـان من الـهـمـوم الـدُّمَّـجِ[4]
قف عندها، سَـــلْ مَنْ بها، فعســى تُجِبْ حَوْجَـاءَ أو لوْجَـاءَ تُرْضـي مَنْ شُـــجِ[5]

---

(١)-راجع: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص٣٤١.

(٢)-راجع: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص١٠٤.

(٣) - أَضْوَاجِ: جمع ضوج، وهو صوت الإنسان من المشقة. الأنشَاج: السيول. ماء الزِّعْبِجِ: أبيض كالسحاب.

(٤)- الدُّمَّجِ: الداخل. (راجع: تزيين الورقات:٢١-٢٣).

(٥)- حوجاء أولوْجَاء: اسم وهو الحاجة. كلمه فما رد عليه حوجاء أو لوجاء: ما ردّ عليه كلمة قبيحة ولا حسنة. شُجِ: حزن (راجع: تزيين الورقات:٢١-٢٣).

وَلَـه شـبُـولٌ نَـائِـبُـون مَـنَـابَـهُ وَالشِّـبْـلُ عند السَّـبْرِ مثل الخَزْرَجِ[١]
فَـغَـدَى لـه نُـور الـزمـان مُسَـاعِـدًا أو سَـاعِـدا في فَـتْـح بَـاب مُـرْتَـجِ[٢]

إلى أن قال:

شَـمْس الضّـحى بَزَغَتْ بغَرْبٍ فَانْتَحَتْ لـلشّـرْق تشـرق في قـريـش وحَـزْرَجِ
مُـتـفـنِّـنٍ مُـتـبَـحِّـرٍ في عـلـمـه مُـتَـعَـطِّـفٍ مُـتَـلـطِّـفٍ لـلـمِـعْـفَـجِ[٣]
جِـبْـريـلُ مـن جَـبَـر الإلـه لـنـا بـه دينـًا حـنـيـفـًا مسـتـقـيـم الـمـنـهـج
لـم يـخْـش مـن إظـهـار ديـن الله مـن مُسْـتَـهْـزِئٍ أو لائِـمٍ مُـتَـمَـجْـمِـجِ[٤]

وهي قصيدة طويلة في ٦٤ بيتًا، حشيت بالغريب والحُوشيِّ من الألفاظ، ودلت على قدرة صاحبها اللغوية، وتضلعه من علومها كما هو معروف عنه.

كما نرى أن قصيدته هذه على نمط القصائد الجاهلية التي تستهل ببكاء على الأطلال والتصريع ثم الانتقال إلى الممدوح أو غيره من الأغراض. وفي مدح شيخه مختار الكنتي يقول:

بَلِّغْ شَـرِيفُ شَـرِيفَ أصْـلٍ كَـاسْـمِـهِ عـنِّـي لشـيـخ كـاسْـمِـه الـمُـخْـتَـار
أزْكَـى سـلام شِـيـبَ مِسْـكـًا نَـمّـهُ ريـح الـنَّـسِـيـم تَـهُـبُّ في الأسْـحَـار
أخْـبَـاره في عـلـمـه وصـلاحـه سـارت بـهـا الـركـبـان في الأمْصَـار
بَـل في الـبَـرَارِي كُـلـهـا بـل في الـبِـحـار الـكـل والأنْـهَـار
شَـمْسُ الـمشـارق والـمغـارب كـلـهـا قُـطْـبُ الـزَّمَـانِ وحِـلـيـة الأبْـرَار[٥]

يخاطب الشاعر ضيفه المسمى بشريف ملتمسا منه عندما تهيأ للعودة إلى وطنه أن يبلغ رسالته إلى شيخه

(١)- الشِّبْلُ: ولد الأسد. السَّـبْر: التجريب. الخَزْرَج: الأسد.

(٢)- بَاب مُرْتَج: باب مغلق. (راجع: تزيين الورقات:٢١-٢٣).

(٣)- المِعْفَج: الأحمق، أو الفقير.

(٤)- راجع: مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، صـ: ٢٣٤.

(٥)-راجع: تزيين الورقات، ص: ٤٢.

الممدوح، بعد أن ضمنها أزكى السلام وأطيب التحيَّة الممزوجة بالرائحة المسكية التي تثيرها ريح النسيم في أواخر الليل. ثم التمس منه ثانيا أن يخبر شيخه الممدوح، أن الوافدين من بلاده قد نشروا أخباره العلمية والإصلاحية في جميع الأمصار والقرى، ثم انطلق مشبها الممدوح بأنه شمس وضاءة مشرقة، تتلألأ في جميع النواحي الشرقية والغربية. فهذا الشاعر محمد البخاري بن أمير المؤمنين الشيخ المجاهد عثمان بن فوديو الفلاني يمدح عمّه عبد الله بقوله:

أصَـــحَـوْتَ أم هَـاجَـتْ هَـوَاكَ مَـنَـازِلُ عَـفـى مَـعَـارِفَـهـا الـبِـلَـى وهَـواطِـلُ
دَارٌ عَـهِـدْتُ بِـهَـا الـحُـلـول وكـلّ مـن أهْـوَى مَـعِـي والـعَـيْـشُ غـضٌّ بَـاجِـلُ
وَلـقَـدْ وَقَـفْـتُ بِـرَسْـــمِـهَـا مُسْـتَـخِـبـراً عَـن أهْـلـهَـا والـدَّمْـعُ مِـنّـي سَـــائِـلُ
لله دَرُّك! هـــل وقُـــوفـــك نَـــافـــعٌ بِـرُسُـــومِـهَـا أمْ هَـل لِـدَمْـعِـكَ طَـائِـلُ![1]

وبعد هذه المقدمة الطَّلَلية على مذهب شعراء العرب الجاهليين، يصل الشاعر إلى بيت الانتقال، أو كما سمّاه البلاغيون «حسن التخلص»، فيقول:

فَـدَعِ الـدِّيَـار واذْكُـر أخْـدَان الـهَـوَى وخَـرَائِـد فِي مَشْـــيِـهَـا تَـتَـمَـايـلُ

وبدلاً من أن يتغزل الشاعر بمحبوبته على عادة الجاهليين؛ إذا به يتزهّد، ويعدد النصائح الطويلة، مثل قوله:

وَاسْـــلُـكْ طَـرِيـقَ أولي الـهِـدَايـةِ وَاغْـتَـنِـمْ فُـرصـــاً تَـمُـرّ وأنـتَ مـنـهـا غَـافـلُ
وَازْهَـدْ عـن الـدُّنـيَـا فَـإنّ نَـعِـيـمَـهَـا أضـــغَـــاثُ أحْـــلامٍ وَظِـــلٌّ زَائِـــلُ
وَابْـغِ السِّـــيَـادَةَ بِـالـعُـلـومِ فَـمَـا اسْـــتَـوَى فِي الـمَـجْـدِ ذُو عـلـمٍ ومَـن هـو جَـاهِـلُ

ثم ينتقل إلى ممدوحه، وفي تعداد مناقبه بمثل قوله:

ولَـقَـدْ حَـبَـاك الـدَّهْـرُ شَـــيْـخـاً مَـا لـه فِي الـعـلـم فِي تِـلـكَ الأرَاضِـــي مَـاثِـلُ
أعـنـي إمَـامَ الـعَـصْـــر عـبـد الله مَـن ســـاد الشـيـوخ النبـل مـذ هو شـــابـلُ
شـــيْـخ الـعـلـوم خـديـمـه تـبّـاعـهـا خـدنٌ الـتّـقـيّ الـحـبـر الـنّـبـيـل الـكـامـل
عَـلـم الـهـدى ســـعـد الـزّمـان عـمـاده حـــانٍ رفـيـقٌ بـالأنـام حـلاحـل

(١) – راجع: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ، ص٢٣٤.

ذو شـــدّةٍ في دينـــه متـــواضـــعٌ ذو هـــيـــبـــةٍ بـــرٌّ أمـــيـــنٌ عـــامـــل
عَـلاّمـة الـقـرآن حَـاوي الســبـق في عـلـم الـحـديـث وفي الـبـلاغـة كَـافِـل
بَـحـرٌ مـحِـيـطٌ يسـتـخـفّ الـمُـلـك في نَـحْـو وَفي الأصْـلَـيـن غَـيْـثٌ وَابـلٌ[1]

وواضح هنا الطابع العام لمثل هذا الشعر من حيث ألفاظه وأبنيته وصوره ومحسّناته البديعية، إنه امتداد طبيعي للشعر في منابعه الأصلية في الوطن العربي، كذلك فقد حرصت كثير من قصائد هذا المديح على إبراز الذخيرة اللغوية العربية، وإظهار التمكّن الواسع من اللغة العربية، ومعرفة أشعار الفحول من العرب القدامى، لتكون بين أيدي الطلاب نصوصاً للدراسة والإحاطة بهذه اللغة.

وتقول نانا أسماء بنت عثمان بن فودي في المدح:

أكْـرِمْ بِـجَـهـبـذِنـا الـكـريـمِ الـوافـد عـن أرضِـــه نَـحْـو الـمَـديـنـةِ قـاصـــدِ
يَـعْـتـامُ ذاك الـبـيـتَ والـقـبـرَ الـذي ضَـــاءتْ بـه أنْـوارُ كُـلِّ مـعـاهـد
وَاعْـلَـمْ بِـأنَّـا قـد فـرِحْـنـا غـايـةً بِـمُـرورِ ركْـبٍ لِـلأحـبِّـة قـاصـد
قَـد جَـاءنَـا بـأمـارةٍ عـن عـلـمـه وَبَـلاغَـةٍ مـن نـثـرِهِ وقصـائـد
وأتَـمَّ سَـعـيَـكَ بـالـمـنـاسـك في منًى وَالسَّـعْـيِ في عَـرفـاتَ بـيـتِ الـواحـد
وأتَـاح وَصْـلَـك لـلـمـديـنـة بـعـدهـا وَزِيَـارةً بـمـزائِـرٍ ومَشـاهـد
صَـلّـى عـلـيـه الله خَـيـرَ صـلاتِـه آلُـرُونَـةً بِسَـلامِـه الـمـتـزايـد[2]

حيث بدأت بذكر صفات الممدوح مقارنة ذلك بوصف رحلته إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وزيارة مسجد النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويلمس ذلك كله من قولها:

أكْـرِمْ بـجَـهـبـذِنـا الـكـريـمِ الـوافـد عـن أرضِـــه نَـحـو الـمـديـنـةِ قَـاصـــدِ
يـعـتـامُ ذاك الـبـيـتَ والـقـبـرَ الـذي ضَـــاءتْ بـه أنْـوارُ كـلِّ مَـعَـاهِـدِ
تَسْـمُـو بـه نُـجُـبٌ يـذلِّـلُـهـا الـهـوى وتُـهِـينُ سـعْـيَ الـمُسـتـحـثِّ الرَّاشِـدِ

(١)- راجع: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط٢، المكتبة الإفريقية، سنة:١٩٩٣م / ١٤١٤هـ.صـ: ١٠٦.

(٢)- راجع: اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، صـ:١٠٧.

صدّر نَانَا أسماء قصيدتها بأسلوب التعجب تتعجب بهذا السيد الكريم، وهو من الأساليب الدالة على قوة العاطفة، وقد خالفت سنة الشعراء القدامى من الوقوف على الأطلال، والبكاء على مفارقة المحبوبة(١).

وفي الختام شرعت الشاعرة في دعاء الخير لممدوحها سائلة الله رب العرش العظيم له الجزاء الحسن عن جزيل مساهمته الجبارة في نشر العلوم الدينية واللغوية إلى بلادنا بلاد السودان، وأن يساعد الممدوح أيضا في أداء المناسك، ويقدر الله سبحانه ذهاب الممدوح إلى المدينة المنورة سالما غانما لزيارة المزائر من المسجد النبوي الشريف وروضة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وبقية المشاهد الموجودة في المدينة وما حولها، ولتكون دعائها مستجابة توسلت إلى الله بمكانة المختار صلى الله عليه وسلم، ويتضح هذا من قولها(٢):

فَجَزاكَ ربُّ العَرْشِ خَيْرَ جزائه عَنَّا بِحُسنِ كلامِه المُتَوَارِدِ
وَأتمَّ سَعْيَكَ بالمناسك في منًى والسَّعْيِ في عرفاتَ بيتِ الوَاحِدِ
وَأتَاح وصْلَك للمدينة بَعْدَهَا وَزِيَارةً بمَزائِرٍ ومَشَاهِدِ
بِمَكَانةِ المُخْتَارِ سيِّدِنا الذي تَسْمُو لزَوْرتِه بِعَزْمٍ نَاهِدِ

ثم ختمت قصيدتها بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، خلاف ما يختتم به الشعراء قائلة:

صَلّى عليه الله خيرَ صلاتِه مَقْرُونَةً بِسَلامِه المُتَزَايِدِ

(١)- راجع: اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص:١٤٨.

(٢)- راجع: اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، صـ:١٠٧.

سَابِعًا: الرثاء: كان الشعراء في هذا العصر، يسيرون على الدرب التقليدي في رثائهم، كما يسيرون في مدحهم، فيذكرون الموت وغدره، ويذمون الدنيا وغرورها، فهي دار فناء، لا يصفو فيها العيش، ولا يرتاح البال، ويشيرون كذلك إلى محاسن الميت، يصفونه بالعلم، والتقوى، وبالكرم، والشجاعة، ومساعدة الضعفاء. والظاهر أن الرثاء في هذه الفترة أكثر من المدح، فلا يموت عالم أو أمير مشهور إلا أطلق الشعراء ألسنتهم(١).

فالشيخ عبد الله بن فودي له باع طويل في شعر الرثاء، ومن ذلك قصيدة يرثي فيها صديقه وابن قبيلته المصطفى بن الحاج عثمان، وهو أحد الذين وقفوا سنداً للحركة الإصلاحية في "سُكُّتو" في القرن التاسع عشر الميلادي يقول فيه الشيخ عبد الله:

عفت عندي منازل أهل كير ... وحل على معارفها نكير
لقد رزئت قبيلتنا جميعًا ... لفَقد الصالح الفطن المجيد
عِماد العلم محي الدين فيهم ... كثير الصبر مصباح العشير
صفوح منزل الأضياف لين ... خليل للصَّغير وللكبير
يحق لنا البكاء عليه لكن ... رضينا فعل قهَّار خبير
سقى الله الكريم غيوث عفو ... له قَبْر الحَبِيب المستنير(٢)

فالقصيدة من بحر كامل، وهو طويل على نهج الشعر الجاهلي والعصر الهجري الأول، سار الشاعر في افتتاحيته للقصيدة بالوقوف على دار الأهل والبكاء فيها حيث يقول في البيت الأول من القصيدة:

عفت عندي منازل أهل كير ... وحل على معارفها نكير

وهذا أقرب إلى ما ذهب إليه لبيد بن ربيعة في معلقته التي استهلها قائلا ـ كامل ـ:

عَفَتِ الدِّيارُ مَحلُّها فمُقامُها ... بِمَنى تأبّدَ غَوْلُها فرِجامُها

فمضى الشيخ عبد الله على نهج الأقدمين في رثائه لصديقه المصطفى في قصيدة أخرى فيقول:

---

(١)-راجع: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص١٠٤.

(٢)-راجع: تزيين الورقات، صـ: ٢٣٤.

آنَ ارْعِوَاؤُك إذْ أرتْكَ الدارُ بِفِعَالِهَا من أنَّها غدّارُ
دَارٌ يَمُوت بها حبيبُك لا تَرُمْ فَرحًا بِدارٍ صَفوُها كدّارُ
فَالمصطفى من بيننا هو كاسْمِه مرضيُّنا وأمينُنا المختارُ
إن الرزايا فقْدُنا أمثالَه لكنْ رضِينا ما قضى الجبّارُ
قَد قام في إظهارِ دينِ محمدٍ بيْن الورى والجرحُ فيه جُبارُ
حتى بَدا في الحصْنِ من أقواله وفِعَاله تُرمى به الأحْجَارُ
كم واجباتٍ في الضِّياع أقامَها في الحيِّ تَسْخَرُه بها الفُجّارُ![1]

إلى أن قال:

ولقد فقدتُ أخًا حبيبًا ناصرًا في دينِنا إذ أعوزَ الأنصار
خِلاً صَدُوقًا لا يريبك فعلُه ومقَالُه يختار ما تختار
فَدعِ العيونَ تجود فوق حبيبِها فَحَرِيُّها هجْمٌ أو اسْمِدْرار
لو أن عينك ساعدت لهمتْ دمًا بدلَ الدموع سحابُها الحدّار
فَلْيَبْكِه من كان فيه غَيرةٌ في الدينِ فهو أمونُه الجِدْبار
نَبْكي عليه ترحُّمًا معْ أننا نرضى بما جاءت به الأقدار
فَسَقاه من ربٍّ غفورٍ راحمٍ غيثُ المحبة والرضا المِدْرار
سبْحان من قهر الخلائقَ كلَّها بالموت وهو الواحد القهّار[2]

إذا نظرنا إلى القصيدة نجدها أيضًا من بحر الكامل، ولا تخرج في معناها وفكرتها عما أورده لبيد في قصيدته التي مطلعها:

ألا تَسْألانِ المَرْءَ ماذا يُحَاوِلُ أنَحْبٌ فيُقضَى أمْ ضَلالٌ وباطِلُ

(١) – راجع: الحصن الرصين، صـ: ١٤٠، وانظر: مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، صـ: ١٣٦

(٢)– الحصن الرصين، ٣٤٥، وتزيين الورقات، صـ: ٢٣٥.

أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللّهُ باطِلُ وَكُلُّ نَعِيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ (١)

والشيخ عبد الله بن فودي على الرغم من أخذه نهج الشعراء الجاهليين في افتتاحه الرثاء، إلا أنه اتجه نحو هدف إصلاحي قويم، ومن ثم جاءت العاطفة في القصيدة نبيلة حكيمة، فهي مع قوتها منضبطة بروح الإسلام، انظر إلى هذا التعقّل الذي يبديه الشاعر رغم شدّة إحساسه بالمصاب الفادح.

كما نرى ميل الشاعر في رثائه إلى الزهد والتذكير بالحياة الأخرى على نهج ما سار عليه بعض شعراء الرثاء ابتداء من القرن الثاني الهجري. ويسير الشاعر في نفس الاتجاه في رثائه لخاله (محمد ثَنب) ويقول:

فَيَا لَلْمسلمين لِيَبْكِ خَالِي محمد ثَنْبُ ذُو عِلمٍ وَخَال
فَقَدْ حُمِدَتْ شَمَائِلُهُ قَدِيمًا بِعِلمٍ والتُّقَى قَبْل ارْتِحَالِ
إلى الحرمين حتى قام عشراً وبِضْعًا فيهما يَبْنِي المَعَالي
فَقَدَّرَ رَبُّه أن سَوْفَ يَبْدُو بِأَقْدَسْ قَبْره بَعد الزَّوَالِ

إلى أن قال:

وَيَسْأل نَاظِمَ الأبْيَاتِ سِتْراً من الزَّلّاتِ من حُلَلِ الجَمَالِ
عُبَيْدٌ جَاهِلٌ في بَحْرِ ذَنبٍ غَرِيقٌ حَارَ فِي بَحْرِ الخَيَالِ
حَقِيرٌ أَعْجَمٌ عَجَمِيٌّ حَيّ أَبُوه وأمّه من آلِ عَالِ(٢)

يرثي الشاعر خاله ويشير إلى أن خاله كان عالمًا متدينا، ذهب إلى الحرمين بالأراضي المقدسة فحج وأقام هناك بضع سنين ثم رجع إلى بلده أقْدس، إلا أن المنية لم تمهله، فتوفي فور رجوعه، ففاضت قريحة الشاعر بالأبيات السابقة من بحر الوافر مدفوعًا بعاطفتين هما: صلة القربى بالميت، ثم التدين والعلم الذين كان عليهما المتوفى. ومن هنا يمكن القول بأن عبد الله بن فودي شاعر تقليدي سار على خطى الشعراء الجاهليين وشعراء صدر الإسلام، مع الأخذ بالجانب الإصلاحي في كلّ.

ومن الطرافة أن من الذين أجادوا في هذا الميدان من النساء، أسماء بنت عثمان بن فوديو، التي برعت في

(١)- الحصن الرصين، ٣٨٥، وتزيين الورقات، ص: ٢٦٥.

(٢)-الحصن الرصين، ٣٨٥، وتزيين الورقات، ص: ٢٦٥.

الشعر العربي، وبلغت منزلة لم تبلغها مثيلاتها في الشعر العربي الإفريقي إلى اليوم، وهي بمنزلة خنساء في العصر الجاهلي(١). وعندما توفيت عائشة رثتها نانا أسماء بثلاث قصائد سأورد هنا مقتطفات من هذه القصائد وهي:

أَعَيْنيَّ جُودَا وَابْكِيا لي حبيبتي وَسَلْوةَ أحزاني وأُنْسًا لوحشتي
فَجُودَا بسكْبِ الدمع من فَقْدِ «عائِشةْ» أعَزِّ أحبّائي وأوفى صديقةِ
ألم تَعْلَمُوا أن الصداقةَ لم يكنْ لِيعدلَها شيءٌ إذا ما استقرَّت
فَلا ولَدٌ يُسْلي المحبَّ ولا أخٌ ولا مَسْكنٌ زاهٍ ولا جمْعُ قِنْوة
وأَبْكي عَلَيْها بالدموعِ ترحُّمًا وشَوقًا وتحنانًا لِصِدْقِ المودَّة
ولم ينْهَ عن هَذا النبيُّ وإنما نهَى عن صراخاتٍ بِآهٍ وَآهَة
وأدْعُو إلهِي أن يُؤمِّنَ خوفَها ويَرزقَها الرحمن حُسْنَ المثوبة(٢)

وقد استهل الشاعرة نانا أسماء قصيدتها بمخاطبة العين والحديث عن البكاء، ثم الالتفات السريع إلى المرثي للتحدث عن خصالها وفضائلها وصفاتها.

أَعَينيَّ جُودَا وَابْكِيا لي حَبِيبَتِي وَسَلْوةَ أحْزَانِي وأُنْسًا لِوحْشَتِي

وإذا جئنا إلى العاطفة فإننا نجد عاطفة صادقة مزيجا من الحزن الذي وصل إلى حد النواح، والمفاخرة، والتعداد لمناقب الفقيدة، وذكر محاسنها، فمزجت بين العاطفتين، عاطفة الحزن، وعاطفة الحب تقول:

وأُثني عليها بالشُّجاعة والحَيَا وَدِينٍ وأخْلاقٍ حِسَانٍ رَضيَّة
وذِكْرٍ وَأوْرَادٍ وَصَبْرٍ وَعِفَّةٍ قِراءةُ قرآنٍ فَنِعْمَ حَبِيبَتِي

ثمّ تقول:

وَأبْكِي عَلَيْهَا بِالدُّمُوعِ تَرَحُّمًا وَشَوْقًا وتحْنانًا لِصِدْقِ المودَّة

تقول: إنها ستبكي على عائشة ترحما، إنها العاطفة الصادقة التي تنبض بالحزن والأسى، وتتدفق بالوعة

(١)- راجع: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص١١٠.

(٢)- راجع: الأدب العربي النيجري ومؤثرات الاستعمار، ص:٣٦٤

على فراق أعز الناس. وفي قصيدة آخر:

إِلَى الله أَشْكُو من صُنُوفِ البَلَابِلِ ... ثَوَتْ فِي سُوَيْدَاءِ لقلبيَ دَاخِلِ
لِفَقْدِ شُيُوخٍ قادةِ الدين سدةٍ ... وَإِخْوَانِنا أَخْدَانِ خَيْرٍ وَنَائِل
وَذَكَّرنِي مَوْتُ الحَبيبةِ من مضى ... مِن الأَخْواتِ الصالحاتِ العَقَائل
مِن الصَّالِحَات القانتات لربِّنا ... من الحافظاتِ الغَيْب ذَاتِ النَّوَافِلِ
لِفَقْدي لعائشةَ الكريمةِ يا لها ... مِن امرأةٍ حَازت صُنُوفَ الفضائل
مِنَ الصَّالِحَاتِ القَانِتَاتِ لِرَبِّهَا ... مِنَ الحَافِظَاتِ الغَيْبِ ذَات النَّوَافِلِ
مِن الذِّكْرِ والصدقات ثم تلاوةٍ ... وَذَبٍّ لِمَظْلومٍ وَحَمْلِ المَثَاقِلِ
كَفِيلَةُ أَيْتَامٍ غِياثُ أرامِلٍ ... وَعُمْدةُ حيٍّ بِالحِبا وَالتَّوَاصُل
جَزَاهَا إِلَه العَرْشِ بالعفو والرضي ... وَتَوْسِيع قَبْر في ضِيَاء مواصلِ[1]

فالبكاء صورة تعبيرية عن ألم نفسي، وحزنٍ في قلب الإنسان، وهو طريقة من ألوان التعبير المادي. والبكاء يندرج تحت فن من فنون الشعر العربي وهو الرثاء الذي يعد من أبرز الموضوعات في الشعر العربي بعامة والشعر الجاهلي بخاصة، لأنه يرتبط بظاهرة الموت التي تعد من الظواهر الإنسانية التي شغلت عقول المفكرين والأدباء والفلاسفة على حد سواء من قديم الزمان.

ومن الحقائق التاريخية المسلّم بها أن الأمة العربية احتفظت عبر تاريخها الطويل بتراث ضخم من المراثي وجلّ هذه المراثي التي وصلت إلينا تميزت بصدق العاطفة وحرارة اللوعة، ولا سيما التي تقوم على صلة الرحم ورابطة القربى التي تجمع بين الراثي والمرثي فكلما دنت القرابة بين الشاعر والمرثي ازداد الرثاء حرة وتفجعًا.

(١)- راجع: راجع: الأدب العربي النيجري ومؤثرات الاستعمار، ص:٣٦٤.

ثامنًا: الوصف: وأما عن النماذج لشعر الوصف فمنها: القصيدة البائية التي وصف بها الشيخ عبد الله بن فودي حياتهم الاجتماعية في القرن التاسع عشر، حيث يقول الشاعر:

ولما مضى صحبي وضاعت مآربي ... وخلفت في الأخلاف أهل الأكاذب
يقولون ما لا يفعلون وتابعوا ... هواهم وطاعوا الشحّ في كل واجب
وليس لهم علم ولا يسألونه ... وأعجب كلا رأيُه في المذاهب
وقطّع أرحاما وأزرى مَعارفا ... وآثر عن قرباه جمع الأشائب
وما همّهم أمر المساجد بل ولا ... مدارس علم بله أمر الكتائب
وهمّتهم ملك البلاد وأهلها ... لتحصيل لذّات ونيل المراتب
بعادات كفّار وأسماء ملكهم ... وتولية الجهّال أعلى المناصب
وأكل هدايا الجاه والفيء والرُّشا ... وعودٌ ومزمار وضرب الدّبادب
وإن قرين السوء يُعدي قرينه ... بِمَا فيه إعداءَ الصَّحاح الأجارب
وقد طار قلبي للمدينة ثاويا ... سِنين بِها شوقا وليس بآئب
صرفتُ عِنانِي عنهمو متوجها ... إلى خَيْر خلق الله معطي الرغائب
وكم ليلة بتنا بها نابغية ... ولا نَار إلا نارنا في السّباسب
وسمارنا جيراننا أقرباؤنا ... بَعُوض وحيّات وجمع العقارب[1]

وإذا أمعنا النظر في هذه الأبيات نرى أن عبد الله بن فودي قد نجح إلى حد كبير في تصوير الحالة الاجتماعية في أسلوب متين واضح جلي، ولكنه لا يسعنا هنا أيضا إلا أن نقول إن تأثره بالمعلقات وعلى الأخص ببائية النابغة الذُّبياني واضح كالشمس في رابعة النهار، وهذه البائية هي:

كِلِينِي لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ ... وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيء الكواكبِ

فكلتا القصيدتين بائيتان ومن بحر الطويل، وفضلا عن ذلك فهناك عشرة أبيات تنتهي بنفس الكلمات

(١)- راجع: الحصن الرصين، ١٨٥، وتزيين الورقات، صـ: ٢٦٠.

التي انتهت بها أبيات النابغة[١]. فإنّها امتداد للغة الشعر الجاهلي، حيث تعتمد على ألفاظ جزلة غريبة، لم تتغيّر إلاّ تغيّرا طفيفا جزئيا اقتضته طبيعة التغيّر الذي حدث في العقيدة. وليس من شك أن الشاعر ـ في هذه القصيدة ـ تقليدي يقتفي أثر شعراء الجاهلية في أسلوبه.

وبناءً على هذا يمكن القول بأنّ الشاعر من أنصار لغة الشعر القديم، والعلّة في ذلك أنّ الشعراء لم يعرفوا ـ في تلك الفترة ـ عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، ولا الأخطل، ولا جريرا، ولا الفرزدق، ولا ذا الرّمة، ولا الكميت بن زيد، ولا رُؤْبة بن العجّاج روّاد التجديد في عهد بني أمية، ولم يسمعوا عن أبي تمام والبحتري والمتنبي، ولا عن أبي نواس وأبي العتاهية وبشّار وأمثالهم من روّاد التطوّر والتجديد في القرن الثاني الهجري، ولكن قرأوا لامرئ القيس والنّابغة وطرفة خصوصا زهير والحطيئة وغيرهما في الجاهلية ممن أطلق عليهم اسم عبيد الشعر، كما عرفوا شيئا عن كعب بن زهير وحسّان بن ثابت وغيرهما من شعراء صدر الإسلام. ويرجع السبب في ذلك إلى أن دواوين أولئك لم تصلهم ودواوين هؤلاء وصلتهم.

ويقول الدكتور يوسو منكيلا: "على الرغم من أن الشعراء الأفارقة من الجيل الأول لم يتعرضوا كثيراً لوصف الطبيعة، ولا اهتموا في الغالب بوصف حيوانات بيئتهم، فإن قصائدهم تناولت الموضوعات التي تناولها الشعراء العرب قديمًا، فوصفوها كما وصفها هؤلاء الشعراء، وبرعوا في وصف الناقة والفرس كما برع العرب في وصفها"[٢].

(١)- راجع: الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠ إلى ١٩٦٠ م، صـ: ٣٨٢.

(٢)- راجع: دور الشعر العربي في النهوض بالفصحى في إفريقيا

الخاتمـة

ويبقى سؤال تطرحه هذه الخاتمة: هل للأدب العربي مستقبل في إفريقيا جنوب الصحراء؟

تناول هذا البحث بعض جوانب الحياة العامة في خلافة صكتو الإسلامية، في محاولة للكشف عن المراحل الثقافية المختلفة والمتقاربة وإظهار مدى ارتباطها، وذلك بتسليط الضوء على القيم العلمية والأدبية التي تتصف بها هذه المادة الخامة العربية الإفريقية المخطوطة.

- وقد يلاحظ الدارس في هذا المجال أن الأدب العربي الإفريقي جنوب الصحراء مهما توغل في التجديد، يظل مرتبطًا على نحو ما ببعض المظاهر الفنية في تراث الأدب العربي القديم، ومع أن الأدب الوجداني في هذه المرحلة قد تحقّق له وضع عصري متميز؛ فإن كثيراً من سمات الأدب القديم ظلّت تبدو فيه عند هذا الأديب أو ذاك.

- وتبيّن لنا بكل وضوح في نهاية هذا البحث أن اللغة العربية واكَبت خطوات الإسلام في القارة الإفريقية، وظلت تتطور حتى أصبحت لغة الإدارة الرسمية في ممالكها القديمة، وخلافة صكتو الإسلامية خير مثال فذكر أن ملك «غانة» قد استعان قبل إسلامه بخبراء الإدارة والترجمة من المسلمين، كما رأينا دولة «مالي» أيضًا تتخذ العربية لغة رسمية، وكذا (دولة سنغاي) وأن الفرية الاستعمارية التي تزعم أن حضارة إفريقيا جنوب الصحراء مرتبطة بالغرب مزيّفة ومنقوصة.

-أنَّ الشعر العربي القديم كان له الأثَر الأقوى على ملكاتهم الغنيَّة فيما أنتَجُوه من أشعار، وربما كان يَرجِع ذلك إلى تَشابُه البيئة التي هي أقرب إلى البَداوة.

-وأنَّ النغمة الدينيَّة قد غلبتْ على مُعظَم أغْراض شِعرهم، كما غلبت النغمة الحماسيَّة على أشعارهم في مقاومة الاستعمار.

-وأنَّ لغةَ أشْعارهم في شتَّى الأغراض الغنائيَّة قد اتَّسمَتْ بالجزالة ووُعورة الألفاظ أحيانًا، كما اتَّسمَتْ أشعارهم التعليميَّة بلغةٍ شعبيَّة سَهلة شديدة القُرب من أفْهام العامَّة.

-وأنَّه لم يُتَح لأغلب شُعَراء إفريقيا جنوب الصحراء الاطِّلاع المنظَّم على دَواوين الشعر العربي القديم في جميع عُصوره، فيما عدا القصائد الست للشُّعَراء الجاهليين، وإنما استقَوْا ثقافتهم الأدبيَّة من كتب

تستَشهِد بهذه الأشعار؛ ولذلك قلَّ الابتكار والتجديد عند الكثْرة الكاثرة منهم، كما أنَّه لم تبلُغْهم بشائر النهضة للشعر العربي الحديث.

-وأخيرًا، فانِّي أتقدَّم بدعوة جامعات الدُّوَل العربيَّة بصفة خاصَّة والعالم الإسلامي بصفة عامَّة، إلى العناية بتراث منطقة غربي إفريقيا العربي والإسلامي وبعثه من غَياهِب خَزائن مكتبات فرنسا وبريطانيا وجامعات غربي إفريقيا، وصرف جُهُود طلاب الدراسات العليا العربية، والتاريخية والحضارية نحو تحقيق ودِراسة هذا التراث الثمين الذي يُسهِم بنصيبٍ وافر في إثْراء مكتبة التراث العربي الإسلامي.

ثبت بالمصادر والمراجع

١- آدم عبد الله الألوري: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ط١٩٧١،٣م.

٢- آدم، عبد الله الإلورى: مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، ط١، ١٩٦٧م.

٣- زكريا حسين: المأدبة الأدبية لطلاب العربية في إفريقيا الغربية، أوتشي، نيجيريا، مكتبة دار النور الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٤- سابو المختار: تحقيق كتاب تنبيه الغافلين لنانا أسماء، بحث مقدم إلى جامعة ميشال دي منتاي- فرنسا لنيل شهادة التخصص الدقيق الماجستير، سنة ٢٠٠٩-٢٠١٠ م.

٥- سمبو ولي جنيد: شعراء ولاية صكتو ومدح العظماء من: ١٨٠٤ - ١٩٦٠م، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة الخرطوم ١٩٧٩م.

٦-عبد الله بن فودي: الحصن الرصين، تحقيق: محمد صالح حسين، دار الفكر بيروت لبان ط١، ١٩٨٤م.

٧-عبد الباقي شعيب أغاك: المطارحة بين الوزير جنيد بن محمد البخاري ونجله الدكتور سمبو وليّ جنيد، مقالة نشرتها مجلة النهضة، مركز الدراسات الإسلامية، جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا، العدد الثاني ١٩٩٩م.

٨-علي أبوبكر: الثقافة العربية في نيجيريا من: ١٧٥٠م إلى ١٩٦٠م، الطبعة الأولى، مؤسسة عبد الحفيظ البساط، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.

٩- علي شلش: الأدب الأفريقي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،١٩٩٢م.

١٠-عيسى ألبى أبوبكر: اللغة العربية وآدابها في نيجيريا: آفاق التطور والازدهار، الجامعة الأسمرية، زليتن، بالجماهيرية العظمى، ٢٨/ ١٢/ ١٤٣٢هـ.

١١-غلادنثي شيخو أحمد سعيد: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط٢، المكتبة الإفريقية، سنة: ١٩٩٣م.

١٢-محمد بللو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ـ وزارة الأوقاف ـ القاهرة مصر، ١٩٦٤م.

١٣- مسعود راجي: تجدد الأدب العربي في نيجيريا: الأدب النيجيري في اللغة العربية، مجلة الدراسات العربية والإسلامية. ٢٠٠١م.

١٤-محمد كبير يونس: "عبد الله بن فودي وحياته العلمية" حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، العدد الرابع، سنة: ١٩٩٨م.

١٥- يحيى محمد الأمين: تحفة وزراء صكتو ومساهمتهم في اللغة العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا، ٢٠١٠م.

١٦- يوسو منكيلا: الأدب العربي النيجري ومؤثرات الاستعمار الفرنسي في مجرى تطوره، ٢٠٠٩م.

١٧- يوسو منكيلا: دور الشعر العربي في النهوض بالفصحى في إفريقيا، مجلة قراءات إفريقية مؤسسة المنتدى الإسلامي فبراير ٢٠١٦ م.

فهرس الموضوعات

المحتويات

الملخـــص ١٩٦٧
المبحث الأول: التعريف بالشيخ عثمان بن فودي مؤسس دولة صكتو الإسلامية ١٩٧١
أوَّلاً: نسبه ١٩٧١
ثَانِيًا: مولده ونشأته ١٩٧٢
ثَالِثًا: وفاته ١٩٧٣
رَابِعًا: دعوته الإصلاحية ١٩٧٣
المبحث الثاني: نظرة عامة في أغراض الشعر العربي في هذا العصر ١٩٧٤
أوَّلاً: الثناء على الله ١٩٧٥
ثَانِيًا: الوعظ والإرشاد ١٩٧٦
ثَالِثًا: الشعر التعليمي ١٩٧٨
رَابِعًا: شعر الجهاد ١٩٨٠
خَامسًا: شعر التصوف ١٩٨١
سَادسًا: المدح ١٩٨٢
سَابِعًا: الرثاء ١٩٨٧
ثَامِنًا: الوصف ١٩٩٢
الخاتمة ١٩٩٤
ثبت بالمصادر والمراجع ١٩٩٦
فهرس الموضوعات ١٩٩٨